

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

ISSN: 1112-9751

السينما والتاريخ... صراع الواقع بين الزيف والحقيقة

د. عماري علال

جامعة الجلفة

السينما والتاريخ... صراع الواقع بين الزيف والحقيقة.

د. عماري علال

جامعة الجلفة

الملخص:

تشكل السينما بمختلف أنواعها الذاكرة الصلبة التي تحفظ للإنسان ذكرياته اليومية ، وبالتالي فهي تساهم بشكل كبير في توثيق الأحداث التاريخية وإعادة صياغة الماضي بما يتوافق والرؤية الإيديولوجية للمخرج ، وبذلك يمكن التمييز بين فن السينما وعلم التاريخ الذي يتحرى فيه المؤرخ الصدق والموضوعية في كتابة الحادثة التاريخية.

الكلمات المفتاحية : السينما ، التاريخ ، المخرج ، المؤرخ ، الواقع ، الصورة ، الخيال ، الذاكرة .

Abstract :

The cinema of all kinds is a solid memory that preserves daily memories of one's life and thus contributes to documenting historical events and rephrasing the past in accordance with the ideological vision of the director, thus distinguishing between the art of cinema and the science of history in which the historian investigates truth and objectivity.

Key Words: Cinema, History, Director, Historian, Indeed, Image, Fantasy, memory .

تمهيد:

لطالما عمل الإنسان قديماً منذ النشأة الأولى على تحليل المدركات الحسية التي تحيط به في الوسط البيئي والاجتماعي الذي يعيش فيه ، ومن ثم تكونت لديه الكثير من المعارف والمعطيات التي من خلالها استطاع أن ينشئ المجتمعات و يبني الأمم و الحضارات .

ولعله اهتدى ، في آخر المطاف إلى الصورة المكتملة، لجملة من المعارف المكتسبة التي استقاها من تجاربه وخبراته في الحياة وسماها علوماً، يترجم فيها آماله وأحلامه ويفسر ويحلل ما هو مبهم لديه من مختلف الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وغيرها من الميادين ، ويعمل من جهة أخرى على حفظ ذاكرته و ماضيه ، واستلهاه العبر و بناء المستقبل وللتاريخ والسينما أهمية بالغة التأثير في المجتمع البشري الحديث كونهما الوعاء الذي يجمع المعارف والتجارب والذكريات الإنسانية ويعمل على حفظها ، ومن ثم الاستفادة منها وإعادة صياغتها عند الضرورة لتكون في شكل فيلم سينمائي أو مسلسل درامي في قالب سردي فني ينبض بالحياة.

ما دلالة مصطلح التاريخ ؟ :

يعتبر عبد الرحمن ابن خلدون من أوائل العلماء المشتغلين بعلم التاريخ ، في عصره من حيث تحديد المعنى الدقيق للمصطلح وكذا كل ما يرتبط به من علوم أخرى ، حيث جاء في كتاب المقدمة تعريفاً للظاهرة حيث يقول ، « التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام و الدول ، و السوابق من القرون الأولى تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال ، و تطرف فيها الأندية إذا غصّها

الاحتفال، وتؤدي شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال.»(1)

تعريف شامل ومختصر لمفهوم التاريخ ، يستند على حقائق من الواقع استنبطها ابن خلدون من خلال احتكاكه بالمجتمعات ودراسته لمختلف مكونات المجتمعات من دين ولغة وأعراف وتقاليد وأساطير وغيرها.

« ومازال تعريف ابن خلدون للتاريخ - في فاتحة مقدمته - يعتبر من أدق ما قيل في هذا العلم عند العرب ، وهو تعريف أعجب به وأشار إليه نفر من كبار المؤرخين في الغرب ، من أمثال : كولنجود ، وتوينبي ، برغم أنه لم يترجم إلى الانجليزية ترجمة دقيقة إلا على يد فرانتس روزنتال في السنوات الأخيرة وترجمته دقيقة ، ولكنها خالية من الروح، وأفضل منها وأكثر حيوية الترجمة الفرنسية التي صنعها فنسان مونتاي «(2)

إذا فالتاريخ ظاهرة إنسانية بحتة أساسها الوعي الإنساني، الذي يلزم البشر بضرورة تدوين مجمل الأحداث في الماضي البعيد أو القريب وباختلاف المصادر وتنوع الميادين.

« وكلمة التاريخ تعني " مجموعة الحوادث التي ظهرت في حياة البشرية" ... وعلم التاريخ هو ذلك الفرع من المعرفة الإنسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها ، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها ، ولكنه لا يقف عند تسجيل هذه الأحداث ، وإنما يحاول - عن طريق إبراز الترابط بين هذه الأحداث وتوضيح علاقة السببية بينها - أن يفسر التطور الذي طرأ على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة ، وأن يبين كيف حدث هذا التطور ولماذا حدث ؟ «(3)

وقد شاهد المتفرجون في ذلك العرض عشرة أفلام، طول كل منها لا يتجاوز خمسين قدما ويستغرق عرضه ما بين دقيقة ودقيقتين، وكانت كلها أفلاما إخبارية تسجل أحداثا واقعية عادية...» (5)

وقد سبق هذه التجربة ، العديد من المحاولات والاختراعات في أنحاء مختلفة من العالم كان أبرزها جهاز السينما توغراف للإخوة لومير و الكينيتوسكوب لأديسون والايديولوسكوب في أمريكا و البوسكوب في ألمانيا والزوتروب والبراكسينوسكوب و الفيناكيسكوب وغيرها من الأجهزة و المخترعات التي أدهشت المنقرج للوهلة الأولى وأخذت بلب عقله وجعلته يعيش في جو من السحر والروعة والجمال.

إنّ السينما لا تقتصر على تصوير الماضي ، تستلهمه أو تكشف عنه ، فهي إلى جانب ذلك تعالج مشاكل وقضايا من صميم الواقع الجديد.

" السينما توغراف " LE Cinématographe



"البراكسينوسكوب" Le PRAXINOSCOPE



ومنه يستنتج أنّ التاريخ ظاهرة إنسانية واجتماعية، غاية في التعقيد، تنبني على مجموعة من القواعد والأسس الفلسفية التي تعمل على جمع المادة التاريخية وتصنيفها وتسجيلها وبالتالي حفظها للأجيال المتعاقبة.

لقد شهد العالم اليوم ، بفضل علم التاريخ ، تحولات جمة طالت مختلف المجتمعات ، عن طريق بناء حاضرها من خلال العودة لماضيها ، لاستلهاام الدروس واستنباط العبر .

لذلك فمفهوم التاريخ قد تغير من زمن لآخر ومن فترة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، « وهذه العملية تتم طبقا لتخطيط نظري عام يشتمل بالضرورة على الجوانب الآتية:

أولا : المصدر التاريخي لعملية التغيير المطردة .

ثانيا : المواد التي تمر بتأثير هذا التغيير من حالتها الاجتماعية ، مروراً يمكن معه أن تحوزها اليد المغيرة إلى حالتها الاجتماعية الجديدة .

ثالثا: القواعد العامة أو القوانين التي تتحكم في هذا التغيير.» (4)

وبالتالي فبناء أيّ أمة من الأمم يحتاج إلى ضرورة وجود عنصر التاريخ، الذي هو العنصر الملهم والمهم لاكتساب الشرعية و القوة المادية والمعنوية، لأنّ أمة بدون تاريخ - في نظر البعض - ليست لها حضارة ، إذ يكون مصيرها الاضمحلال والانحطاط والضمور .

ما دلالة مصطلح السينما ؟ :

« المعروف أنّ أغلب نقاد ومؤرخي السينما قد اتفقوا على أنّ التاريخ الرسمي لميلاد السينما هو اليوم الذي عرض فيه الأخوان الفرنسيان أوجست ولويس لومير أفلامهما الأولى في مقهى الجراندي كافيه بباريس ، وهو يوم 28 ديسمبر 1895 .

فيه ، وبذلك أصبحت الصورة بكل مكوناتها عنوانا بارزا للعصر الذي نعيش فيه حتى أنّ بعض النقاد والدارسين المتخصصين لقبوه بعصر الصورة بامتياز .

« كتب بول روثا الذي يقوم بالتاريخ الموثق في سنوات 1930 أنّ " السينما هي المعادلة الإشكالية الكبرى بين الفن والصناعة " إنّ السينما هي أول فن مصطبغ بالصبغة الصناعية ، وهي لا تزال موضع جدال على أنّها أعظم هذه الفنون المصطبغة بالصبغة الصناعية التي هيمنت على الثقافة في الفن القرن العشرين ، ومنذ البدايات المتواضعة في الخلفية التي تأسست عليها ، فإنّها قد تطورت وبرزت لتصبح صناعة تتعامل بملايين الدولارات وهي أكثر الفنون المعاصرة روعة وأصاله .»(7)

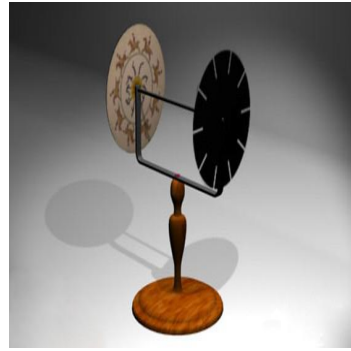
صورة التاريخ أم تاريخ الصورة ؟

لطالما سلبت السينما عقول البشر ، وكانت فنا جديدا ينبض بالحياة والنشاط بخلاف الفنون الأخرى ، وأكثر ما ميز فن السينما هو تلك العجائبية التي تحملها الصورة بكل محتوياتها منذ فجر التاريخ ، من خلال إعادة تصوير الوقائع التاريخية وسرد الأحداث بمختلف أشكالها من حروب ومآسي وأفراح ، وتطور للدول و الحضارات وازدهارها وسقوطها وكذا اندثارها .

وبما أنّ السينما فن وصناعة في آن واحد ، فهي تركز دائما على الجوانب الإنسانية البحتة وتصوير أهم اللحظات التاريخية في حياة الإنسان ، الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومجارات التطور الحاصل في المجتمع البشري بكل تماثلاته واتجاهاته وميادينه .



Le Kinéscope "الكينيتوسكوب" Le



Zootrope "الزوتروب" Le

فالصورة ذات تأثير بالغ الأهمية ، فهي وسيلة فعالة لمعرفة العالم اليوم ، لأنه أصبح مرئيا بالنسبة لنا ، في حين الصورة السينمائية، عادت تماثل العالم وتشكله وفق معطيات الواقع المعاش لإنسان الحضارة العصرية ، فوجود الصورة أعطى حساسية زائدة لغرض التعرف على العالم ، الذي ابتعد عنه ، بفقدانه الغريزة الحيوانية ، ولكن البعد والانفصال بين الصورة واللغة ، أحد الأحداث المنتظمة الرمزية والعقلية . (6)

ومنه يمكن القول ، أنّ السينما من الفنون المستحدثة التي قلبت موازين العالم الحديث رأسا على عقب بكل ما فيه من مكونات ، و صارت جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان المعاصر ، بل وأكثر بذلك حين أصبحت إلى حد كبير، لسان حاله ، الذي يعبر عنه ، ووعاء حاملا لثقافته و تقاليده وأيديولوجياته وسياساته الاجتماعية والاقتصادية وكل ما يحيط به من مؤثرات داخلية وخارجية في المجتمع الذي يعيش

ومنه يمكن التساؤل عن فن السينما أهو نظام للتواصل أم أداة لحفظ الأحداث والوقائع وإعادة صياغتها ؟

السينما، بطبيعة الحال، أكثر من ذلك بكثير، فهي اللغة البصرية المشتركة بين البشر ووسيلة للتواصل بينهم وأداة فعالة لنشر القيم والأخلاق والمبادئ والإيديولوجيات المختلفة والفكر الإنساني عن طريق الخطاب السينمائي والسمعي البصري . إذ يوجد هناك توافق كبير بين محتوى الفيلم ومضمونه و لغة السردية البصرية و بين اللغة البشرية التقليدية

التي هي في الأصل حكر على مجتمع بعينه، بخلاف اللغة السينمائية التي تمتاز بالوضوح والشمولية وقوة التعبير من خلال تصوير الواقع كما هو، والدليل على ذلك هو الأفلام السينمائية الصامتة.

ومن جهة أخرى لا يمكن الاستهانة بالدور الفعال الذي تقوم به السينما من ناحية تسجيل الأحداث والوقائع الإنسانية كما هي ، بحيث « لم تكن السينما عندها إلا تسجيلاً للواقع...كانوا يصورون الطبيعة أو القطار أو حركة الناس في الحقول أو في الشارع- كانت السينما إخبارية- ما كان يهم الجمهور ،هو ذاك النقل الغريب لحياتهم اليومية على الشاشة، كان فعلاً هناك شيء ما يشبه الألعاب السحرية بالسيرك،إضافة إلى ذلك، فإن تدخل التقنية الميكانيكية آنذاك واشتراك عدد كبير من المتدخلين في العمل كان يجعل منه عملاً صناعياً أكثر منه إبداعياً، لم يكن الأخوان لوميير عندها يكتبون نصاً ولا يقومون بتدخل ما في المادة التي يمنحها إياها الواقع، كانت هناك عين كبيرة مفتوحة على الخارج

تلتقط الأشياء وتصورها ثم تعرض على شاشة، تماماً كما لو كانت آلة فوتوغرافية .»(8)

والدارس لتاريخ السينما وبداياتها يكتشف أنّ المخترعين الأوائل للسينما كانوا يصورون الوقائع الحقيقية كما هي وينقلون الأخبار المتعلقة بالقيصرية والملوك والحروب وما شابه ذلك .

إلى هنا ، والمعادلة بين التاريخ والسينما لم تكتمل بعد ، إذ أنّ هناك تداخل كبير بينهما ، يفسح المجال للتأويل والتفسير في ما مدى تأثير أحدهما في الآخر؟

و من جهة أخرى ، لا يخفى على الدارس للسينما أنّها ، خطاب بصري يمتاز بالهيمنة على ثقافة العين واستلابها بالصورة ، للإنسان الحديث الذي أصبح منقاداً ومستسلماً أمام وسائلها الجبارة ، وبالتالي لا يمكنه مقاومة إغراء الصورة بكل أنواعها.

لا أعتقد بوجود تناقض بين السينما والتاريخ ، بل بوجود تكامل بينهما يذهب لحد الانصهار والتمازج بينهما مثل الألوان في اللوحة الزيتية ، ولا يمكن إنكار أنّ علم التاريخ قد صاحب فن السينما منذ الوهلة الأولى

لولادتها من خلال تسجيل كل اللحظات المهمة والفارقة في نشأة هذا الفن ، والكثير من المؤرخين الذين أروا

لبداية الفن السينمائي لغاية اليوم ولا يزالون يواكبون أحداثها وتطورها ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى لا يمكن النكران ، أنها - السينما - قد واكبت كل التطورات الحاصلة في العالم البشري منذ أول تصوير للواقع الإنساني ، فصورت المدن والأرياف والمصانع والغابات والحيوانات وشتى الميادين التي لها علاقة مباشرة

في رصد الأحداث ، ووصف الوقائع والشخصيات والحركات الاجتماعية لم تعد بمستطاعها مواكبة التحولات الجوهرية التي حدثت على أدوات نقل الأحداث وتقديم الشخصيات ، فإذا كان المؤرخ التقليدي يعتمد في اكتساب معرفته التاريخية وكتابة نصوصه على الوثيقة المخطوطة أو المكتوبة أو المرسومة فإنّ مفهوم ومستندات الوثيقة نفسها تغيرت. «(11)

إنّ الرهان الذي يواجه السينما كبير جدا ، خلال معالجة الحادثة التاريخية باعتبارها تمثل ذاكرة من الماضي البعيد أو القريب تحتاج إلى الكثير من التدقيق والدراسة قبل الشروع عملية الإخراج ، ولعل ما يجب الخوض فيه أولا هو تحديد الإطار الزمني والمكاني للقصة التاريخية و تحليل الشخصيات الرئيسية والثانوية من جوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية وحتى الفيزيولوجية منها - البنية المورفولوجية للشخصيات -.

وبذلك تستطيع السينما إعادة التاريخ في صورة فنية وجمالية .

« إذا لم يعد هناك انفصال بين الواقع وتمثيله ، حيث أصبحنا حسب برغسون ، أمام واقع يتضمن مسبقا ما يمثله ويتضمن أيضا الحياة التي ستظهره في الوضع الذي هو عليه. »(12)

إنّ الأمثلة كثيرة عن الأحداث التاريخية العربية الإسلامية التي أعيد تمثيلها سينمائيا ، سواء ما تعلق بالتاريخ المحلي العربي أو الإسلامي ، نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر :

- الشيخ بوعمامة: للمخرج الراحل بن عمر بختي (الجزائر) .

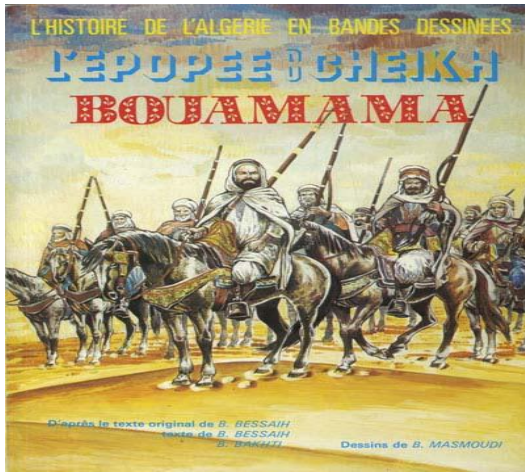
وغير مباشرة بحياة الإنسان ، كما أنّها كانت ولا تزال السجل الحافظ لكل أحداث نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين من حروب وأزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها من الوقائع التي بقيت راسخة ومحفوظة بفضل التصوير السينمائي ، بالرغم من وجود بعض العراقيل والمشكلات من لدن بعض المنادين بضرورة فصل التاريخ عن السينما .

« لكن هذه المشكلات المتعددة الأبعاد هي التي من شأنها أن تحفز الباحثين في التاريخ الراهن على الدخول في حوار مع العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي والصحافة، وتقديم مقاربات نوعية في الموضوع... لكن تفسير ما هو متفاعل ليس بالأمر الهين... »(9)

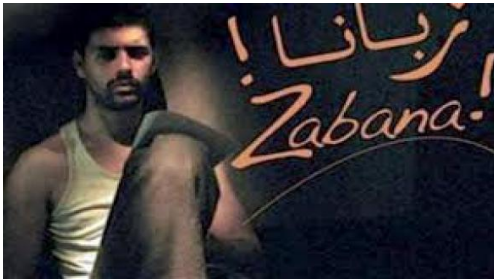
التاريخ من منظور سينمائي بين الخيال والحقيقة :
تتسم السينما عن غيرها من الفنون ، بأنّ لها قدرة عجيبة على إعادة صياغة الحادثة التاريخية و تصوير الماضي البعيد والقريب عن طريق نقل صور قديمة وإعادة إنتاجها من جديد وهذا ما يسمى بإعادة تصوير اللحظة التاريخية.

« إنّ الصورة التي تشهد وتثبت وتقيم الدليل و ترمم ، تعمل على ملأ الغياب والفصل والفقدان ، فهي تنقل ما كان ولم يعد نحو ما تبقى ، كما أنّها تعوض وتسدّ الثغرات وتملأ فراغ ماضٍ مفقود وهي بذلك ، تعمل على إعادة صياغة الفقدان وتشكيله كذكريات... »(10)

ولذلك فإنّ الفيلم السينمائي ينقل الواقع ويصوره كما هو أحيانا حسب ما تقتضيه سياسة المخرج ومجتمعه و كذا البلد الذي يعيش فيه، ثم إنّ « الأساليب التقليدية في النظر إلى الذات والمجتمع ، والتاريخ والذاكرة متجاوزة ، والطرق الكلاسيكية



فيلم الشيخ بوعمامة



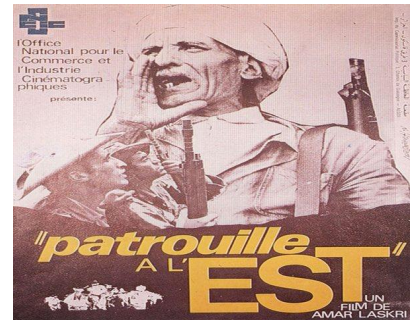
فيلم زبانة

وهي نماذج من أهم الأفلام التاريخية في مسيرة السينما الجزائرية ، بحيث كان موضوعها الأساس هو الثورة التحريرية التي تعبر عن معاناة شعب رضح تحت وطأة الاستعمار لما يربو عن قرن ونصف من الزمان .

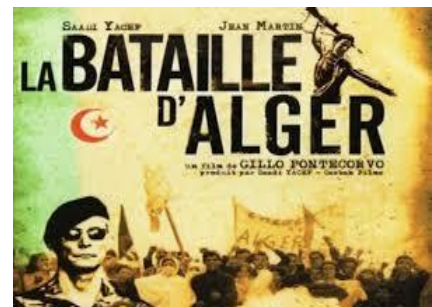
فيلم الناصر صلاح الدين



- دورية نحو الشرق: للمخرج الراحل عمار العسكري (الجزائر).
- معركة الجزائر: للمخرج جيلو بونتيكورفو (الجزائر ، فيلم عالمي).
- مصطفى بن بولعيد: للمخرج أحمد راشدي (الجزائر).
- لطفي: للمخرج أحمد راشدي (الجزائر).
- الرسالة : للمخرج الراحل مصطفى العقاد (فيلم عربي عالمي).
- عمر المختار: مصطفى العقاد (ليبيا).
- الناصر صلاح الدين : للمخرج يوسف شاهين (مصر).
- ناصر 56 : إخراج محمد فاضل (مصر).



فيلم دورية نحو الشرق



فيلم معركة الجزائر

الماضي إلى غاية أعوام السبعينيات ، تعبر في الحقيقة عن واقع مرير ، عاشته الشعوب العربية والإسلامية ، ألا وهو الصراع العربي الإسرائيلي الذي أثر بشكل كبير ومباشر على الحالة الاقتصادية والسياسية وبالتالي امتداده إلى الجوانب الاجتماعية ، ومنه جاءت هذه الأفلام السينمائية لتعطي نفسا جديدا للمقاومة العربية وتعيد إحياء أمجاد الماضي القريب والبعيد ، والمتمثل أساسا في نشأة الدين الإسلامي ومسيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ومن جهة أخرى التذكير بشخصيات عربية وإسلامية كان لها الأثر البالغ في التأثير على الجماهير وخدمتهم منها قوة وشجاعة القائد صلاح الدين الأيوبي وإنجازاته العظيمة وفتحه للقدس ، وجمال عبد الناصر وغيره من الشخصيات .

ومن السينما العالمية تطل علينا كوكبة من الأفلام المختلفة التي تصور أحداثا عالمية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

* فيلم القلب الشجاع BRAVE HEART : للمخرج ميل غيبسون (أمريكي) .

* فيلم الملك آرثر KING ARTHUR : للمخرج انطوني فوكوا (أمريكي - بريطاني) .

* فيلم عصابات نيويورك Gangs of New York : للمخرج مارتين سكورسيزي (أمريكي) .

* فيلم لومومبا LUMUMBA : للمخرج راوول بيبك (فرنسي - بلجيكي - ألماني - هايتي) .

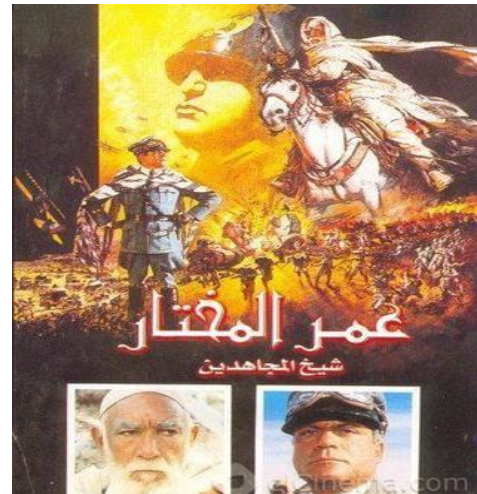


فيلم الرسالة

فيلم ناصر 56



فيلم عمر المختار



كل الأفلام التاريخية التي أنتجت في هذه الفترة بالذات ، أي أواخر سنوات الستينيات من القرن

المخرجين ، وهي الإفراط في استخدام الذاتية وتشويه الحقائق التاريخية وتغليب المصالح الخاصة على العامة ومحاولة استعطاف فئة من الناس على أخرى ، والأمثلة كثيرة ، أبرزها الأفلام التي تعالج قضية ما يسمى بالحرقة اليهودية هولوكوست * في الحرب العالمية الثانية .

يضاف إلى ذلك طغيان الجوانب الخيالية والشخصيات الوهمية الخارقة التي هي في الحقيقة عبارة عن مؤثرات نفسية تعمل على خلق تلك الرابطة الوهمية بين المشاهد المتلقي وبين الحادثة التاريخية ، وبالتالي فاللغة السينمائية أحيانا تعالج القصة التاريخية باستعمال الخيال الدرامي بما لا يتناسب والتسلسل المنطقي للحادثة التاريخية ، من أجل بناء الجوانب الجمالية الفنية التي تضيف على الفيلم السينمائي تلك الشعرية المطلوبة لدى المتلقي .

إنّ مسألة معالجة التاريخ في السينما تحتاج إلى دراسة دقيقة و مستفيضة ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحكم على هذه الظاهرة اعتباطا ، ولكن ما يلاحظ على معظم الأفلام التاريخية هو خضوعها أو بالأحرى خضوع مخرجيها وكتاب سيناريواتها لسياسات بعينها مما ينجر عنه تشويه للحقائق وطمس للشخصيات وتغيير في ملامحها ومشاعرها وحتى في تصرفاتها ، وهذا ما جرى لشخصيات تاريخية كثيرة ذات تاريخ مشرف وشخصية قوية ، بخلاف ما جاء في الأفلام السينمائية والمسلسلات الدرامية .

وبالتالي يفقد الفيلم جانبه الموضوعي وتماسكه الفكري والسياسي وانزياحه نحو توظيف الأيديولوجيا المفروضة وفق مخططات دنيئة



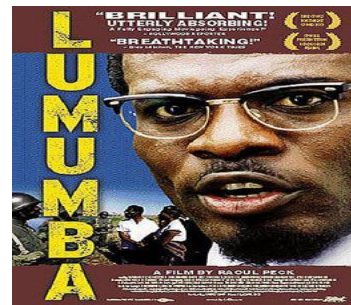
فيلم القلب الشجاع BRAVE HEART



فيلم الملك آرثر KING ARTHUR



فيلم عصابات نيويورك Gangs of New York



فيلم لومومبا LUMUMBA

إنّ الدارس لهذا النوع من الأفلام يدرك تمام الإدراك حجم الكارثة التي يسقط فيها جلّ

لخدمة سياسات بعينها ، وقد يذهب البعض من المخرجين إلى إعطاء المبررات وفق مقاربات سوسيولوجية فنية، وهنا يكمن الاختلاف بين المؤرخ والمخرج في تناول التاريخ.

« ورغم أننا غالبا ما نعتقد بأننا نفهم الفيلم انطلاقا من عرضه الأول ، إلا أننا في الحقيقة نعاين تحولاً دائما لعملية العرض ، فمركز الصورة يسكن بأماكن عديدة ، وعندما لا نتمكن من تشغيل هذه الأماكن ، فإننا لا نحسن الرؤية ، بل نشعر بالخوف مثلما حدث في المراحل الأولى لنشأة هذا الفن . » (13)

السينما والتاريخ ، وجهان لعملة واحدة ، هي بالأساس حفظ للذاكرة الإنسانية والتاريخ لتطور العلاقات الاجتماعية وتعبير عن وجود ثقافات ومجتمعات وربما في بعض الأحيان التقيب عن حضارات عريقة غابرة في تاريخ البشرية و« الاشتغال على التاريخ كخلفية فكرية وجمالية للمتحيل السينمائي، يجب أن يحكمه أولا وأخيرا شرط صيانة الذاكرة أو «تفجير الذاكرة» - حسب تعبير الباحث حميد اتباتو - بما يعني ضرورة اعتماد البحث التاريخي والحفر الأنثروبولوجي في ما يخص قضايا ومواضيع ومؤثرات الكتابة الفيلمية، سواء تعلق الأمر بالجسد، أو اللباس، أو بالحركة أو بالتحريم، أو بالسلطة، أو بالمرأة، أو بالأشكال الجمالية، وبالمتحيل ذاته.. إلخ» (14) خاتمة:

يستنتج مما سبق ذكره ، أنّ الصورة السينمائية ذاكرة العصر الحديث ، وأنها تسجل الوقائع التاريخية الآنية بكل حركاتها وسكناتها ، كما أنها تعيد صياغة الأحداث التاريخية القديمة في قالب سينمائي درامي ينبض بالحياة ، مع الكثير من

الخيال العلمي واستعمال للمؤثرات السمعية والبصرية ، وتقديم الشخصيات في صورة مغايرة للحقيقة التاريخية ، مع إضفاء الجانب الفني الجمالي الذي يبني وفقا لسياسة المخرج أو المنتج الذي لا يلتزم في أغلب الأحيان بالحقيقة العلمية والمنهج المتبع في تفسير الظاهرة التاريخية .

وعلى النقيض من ذلك تماما، فالمؤرخ، يعتمد على المنهج التاريخي العلمي في كتابة الحادثة التاريخية أو تفسيرها أو تحليلها وفق الإطار الموضوعي العلمي، متوخيا في ذلك الموضوعية والالتزام بالحقيقة التاريخية

وتسجيل الأحداث ضمن تسلسلها المنطقي وتعاقبها الزمني ، وبذلك يصل المؤرخ إلى حقيقة عمله ، وهو استهداف المعارف والتجارب الإنسانية التي طرأت على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة والبحث عنها وجمعها وتقديمها للقارئ دون زيادة أو نقصان .

وبالتالي يمكن القول بالفصل بين السينما والتاريخ ، ويبقى التاريخ علما والسينما صناعة و فنا ، في أن واحد ولا يمكن للسينما أن تكتب التاريخ وإنما تعيد صياغته وحفظه في قالب فني درامي ، ومنه نستنتج أنّ التاريخ مادة دسمة للفيلم السينمائي والسينما وسيلة فعالة لخدمة التاريخ والحضارة الإنسانية.

الهوامش :

- 1 - ابن خلدون - المقدمة، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي _ القاهرة 1968.
- 2 - رأفت غنيمي الشيخ : فلسفة التاريخ ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987 .

- 3 - جاسم سلطان : سلسلة أدوات القادة - أداة التاريخ ، (د. دار النشر) ، (د.ط) ، (د.ت) ص 07.
- 4 - مالك بن نبي: مشكلات الحضارة - ميلاد مجتمع - ترجمة: عبد الصبور شاهين، ج1، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص: 11.
- 5 - محمود سامي عطا الله : تاريخ موجز لصورة متحركة - السينما .. شابة عمرها مائة عام ، مجلة العربي - العدد 439 - يونيو 1990 م ، ص : 63.
- Youssef Ishaghpour : le cinéma- dominos2001-France. P: 87 ينظر: (6)-
- 7 - جيوفري نوويل سميث : موسوعة تاريخ السينما في العالم - السينما الصامتة - ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، إشراف ومراجعة : هاشم النحاس ، المشروع القومي للترجمة - جمهورية مصر العربية - ج 1 ، ط1، 2010 ، ص : 15 .
- 8 - موليم العروسي : السينما العربية: تاريخها ومستقبلها ودورها النهضوي (ملف) - مَنْ صَنَعَ مَنْ: السينما والمتفرجون؟ ، مركز دراسات الوحدة العربية .
- http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_420_mouliamal3arousi.pdf
- 9 - محمد جادور - شعيب حليفي - رشيد الحضري : الذاكرة والتاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك - المغرب - ط1 ، 2013 ، ص : 105.
- 10 - برغسون ، دولوز ، غودار وآخرون : حوار الفلسفة والسينما ، ترجمة وتقديم : عز الدين الخطّابي ، منشورات عالم التربية ، ط1 ، 2006 ، الدر البيضاء - المغرب - ص : 98 - 99 .
- 11 - محمد نور الدين أفاية : السينما والتاريخ في المغرب ، آفاق - مجلة إتحاد كتاب المغرب - السينما المغربية- العدد: 85 . 86 جانفي 2014، ص : 08.
- 12 - برغسون ، دولوز ، غودار وآخرون : حوار الفلسفة والسينما - مرجع سابق - ص : 128.
- * المحرقة اليهودية أو الهولوكوست : تطلق كلمة هولوكوست على الإبادة الجماعية - المزعومة - التي تعرض لها اليهود على أيدي هتلر وحلفائه خلال الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 ، ولازال اليهود يحتفلون كل عام بهذه المناسبة وينكسون الأعلام ويذكرون أبناءهم وأحفادهم بالظلم الذي تعرضوا له .
- 13 - برغسون ، دولوز ، غودار وآخرون : حوار الفلسفة والسينما - مرجع سابق - ص : 22.
- 14 - جلال زين العابدين: التاريخ في السينما المغربية، مجلة السينما العربية، العددان 3 و4، صيف - خريف 2015 ص : 138 .